

التبيان في تفسير القرآن

(266) بالتاء ، لان اللفظ لفظ التأنيث. يقول الله تعالى مخبرا عن الذين قد أعطاهم الله العلم وآتاهم إياه بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له ، ونظروا فيها فحصل لهم العلم، فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للدلالة الدالة على العلوم، والتصديق بالله ورسوله * (لقد لبثتم) * أي مكثتم * (في كتاب الله) * ومعناه إن لبثكم مذكور ثابت في كتاب الله بينه الله فيه، فصار من أجل أن بيانه في كتابه كأنه في الكتاب، كما تقول كلما يكون فهو في اللوح المحفوظ أي هو مبين فيه، وقيل * (في كتاب الله) * أي في كتابه الذي أخبرنا به، واللبث لا يكون إلا في المكان، كما لا يكون السكون إلا فيه، والبقاء قد يكون لا في مكان، ولذلك يوصف تعالى بالباقي، ولا يوصف ب (لابث) و * (إلى يوم البعث) * يعني يوم يبعث الله فيه خلقه ويحشرهم. واصل البعث جعل الشئ جاريا في أمر، ومنه انبعث الماء إذا جرى وانبعث من بين الأموات إذا خرج خروج الماء، ويوم البعث يوم إخراج الناس من قبورهم إلى أرض المحشر. ثم يقول المؤمنون للكفار " فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون " صحة ذلك وكنتم شاكين فيه. وقال الحسن: لقد قدرنا أجالكم إلى يوم البعث ولكنكم لا تعلمون أن البعث حق. ثم أخبر تعالى أن ذلك اليوم لا تقبل معذرتهم، والمعذرة إظهار ما يسقط اللائمة، وإنما لا تقبل معذرتهم لأنهم ملجئون في تلك الحال، ولا يصح اعتذارهم وقوله " ولا هم يستعتبون " أي لا يقبل عتبهم، ولا يطلب منهم الاعتاب. والاستعتاب طلب صلاح المعاتب بالعتاب وذلك بذكر الحقوق التي تقتضي خلاف ما عمله العامل بما لا ينبغي أن يكون عليه مع الحق اللازم له وليس في قولهم